القيم الأخلاقية في شخصية الرسول ﷺ قبل بعثته

Moral Values in The Personality of the Messenger, Peace and Blessings Be Upon Him, Before his Mission

Abdul Majeed Baghdadi
Chairman Department of Arabic AIOU, Islamabad
Email: baghdadidgk@gmail.com

Abstract

The Prophet Muhammad (peace be upon him) is a unique moral model in human history, distinguished by noble character and high values even before he was appointed to convey the message of Islam. Allah, the Almighty, prepared him to carry the trust of the message by instilling within him noble traits and human values that made him a role model for his people and all humanity. The Prophet (peace be upon him) lived in a pre-Islamic society filled with contradictions, where positive values like courage and generosity coexisted with negative practices such as injustice, the burying of daughters, and idol worship. Despite this, the Prophet (peace be upon him) was characterized by his pure conduct and high morals, earning him love and trust among his people.

In this research, we will review the human values that distinguished the Prophet (peace be upon him) before the Prophethood, detailing each value and providing evidence from the books of biography and authentic Hadith. We will also clarify the role of these values in preparing the Prophet (peace be upon him) to carry the message of Islam.

Keywords: The Prophet Muhammad, character, humanity, pre-Islamic society, the burying of daughters, and idol worship

المقدمة

النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو نموذج أخلاقي فريد في التاريخ البشري، فقد تميّز بمكارم الأخلاق والقيم السامية قبل أن يُبعث برسالة الإسلام. لقد أعدّه الله عز وجل لحمل أمانة الرسالة بما زرعه فيه من صفات نبيلة وقيم إنسانية جعلته قدوة لقومه وللبشرية جمعاء. عاش النبي صلى الله عليه وسلم في مجتمع جاهلي مليء بالتناقضات، حيث تجتمع فيه قيم إيجابية كالشجاعة والكرم، إلى جانب الممارسات السلبية كالظلم ووأد البنات وعبادة الأصنام. ورغم هذا، تميّز النبي صلى الله عليه وسلم بسلوكه النقي وأخلاقه الرفيعة التي جعلته محبوبًا وموثوقًا به بين قومه.

في هذا البحث، سنستعرض القيم الإنسانية التي تميز بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، مع تفصيل كل قيمة وشواهدها من كتب السيرة والحديث النبوي الشريف، كما سنوضح دور هذه القيم في إعداد النبي صلى الله عليه وسلم لحمل رسالة الإسلام.

حياءالنبي ﷺ

الحياء من أبرز الصفات التي ميزت النبي محمد ﷺ في جميع مراحل حياته، وقبل بعثته على وجه الخصوص. كان حياؤه شاملاً لكل جوانب حياته: من المظهر الشخصي، والسلوكيات اليومية، إلى العلاقات الاجتماعية والروحانية. ومن خلال تحليل تفصيلي لحياة النبي ﷺ قبل النبوة، نستطيع أن نفهم عمق هذا الخلق النبوي وأثره الكبير على شخصيته وتعامله مع الناس.

أولاً: الحياء في المظهر الخارجي

نظافة البدن والهندام:

كان النبي ﷺ شديد الحرص على نظافة جسده وملبسه. فقد كان يعتني بمظهره بما يليق بشخصيته المتميزة.

كان يرتدي الملابس النظيفة والمهندمة دون مبالغة.

اختياره لملابسه كان يعكس حياءه، حيث كان اللباس محتشماً يظهر الوقار ويبتعد عن التكلف.

الاعتدال في الزينة:

لم يكن النبي ﷺ يميل إلى التفاخر بالمظهر أو ارتداء الثياب الفاخرة لجذب الانتباه. كان يوازن بين البساطة والجمال في مظهره.

غض البصر:

كان يغض بصره عن المحرمات والمظاهر التي قد تخدش الحياء، محافظاً على نقاء روحه وطهارة نفسه، وكان ذلك معروفاً عنه حتى قبل النبوة.

ثانياً: الحياء في السلوك الشخصي

العفة والطهارة:

كان النبي ﷺ عفيف النفس، ولم يُعرف عنه أي تصرف ينافي العفة أو الطهارة. لم يُعرف عنه أنه نظر إلى امرأة نظرة شهوانية، أو تلفظ بكلام يخدش الحياء.

التواضع في الحياة اليومية:

كان حياؤه ينعكس في طريقة تعامله مع أموره اليومية. على سبيل المثال:

كان يأكل مما هو متاح دون تذمر أو طلب ما هو فوق الحاجة.

لم يكن يرفع صوته في الأسواق أو يتصرف بطريقة تجذب الأنظار إليه.

ثالثاً: الحياء في العلاقات الاجتماعية

الحياء مع والدته وآبائه:

منذ صغره، كان النبي ﷺ يتحلى بالحياء في تعاملاته مع والدته آمنة وأجداده، حيث كان يبرز الاحترام والحياء أمامهم.

على سبيل المثال، كان يعامل والدته وأقاربه بكل تواضع ووقار، ويحرص على عدم التسبب في أي نوع من الإحراج لهم.

حياؤه في علاقاته مع النساء

كان النبي ﷺ يظهر حياءً شديدًا في تعاملاته مع النساء قبل البعثة، وهو ما كان يعتبر من السمات الطيبة في المجتمع المكي.

كان يحترم خصوصية النساء ولا يتحدث إليهن إلا في سياقات معقولة، كما كان يتجنب الحديث عنهن بشكل غير لائق أو خارج عن الآداب العامة. وخير مثال على هذا هو عندما عرضت السيدة خديجة رضي الله عنها الزواج على النبي صلى الله عليه وسلم، كان يظهر الحياء في ردوده، رغم أنه كان مخلصًا في مشاعره تجاهها، فقد كان في البداية مترددًا في التحدث عن مشاعره.

حتى بعد زواجه منها، كان يظهر حياءً في التعامل معها، وكان يحرص على أن يكون في منتهى الاحترام في كل حديث وموقف.

مع الأصدقاء والمعارف:

كان النبي ﷺ يحافظ على حدود الأدب في علاقاته الاجتماعية.

لم يكن يكثر من المزاح، وكان يحرص على أن يكون كلامه جاداً ومفيداً.

كان يقدم النصيحة للآخرين بأسلوب لطيف ومهذب، دون أن يحرجهم أو ينتقص من قدرهم.

رابعاً: الحياء في الروحانية

البعد عن الشرك:

رغم أن عبادة الأصنام كانت منتشرة في قريش، إلا أن النبي ﷺ كان يبتعد عن ذلك تماماً.

كان حياؤه من الله يمنعه من السجود لصنم أو المشاركة في طقوس شركية

الابتعاد عن الفحش والمجون:

لم يكن النبي ﷺ يشترك في مجالس اللهو أو الخمر التي كانت منتشرة في مكة. كان يتجنب مثل هذه المجالس ويبتعد عن المواقف التي قد تسيء إلى سمعته أو تظهره بمظهر غير لائق.

كان النبي يفضل العزلة عن مثل هذه المجالس التي كان يتواجد فيها عادة بعض الأفراد الذين يعرضون أنفسهم للأمور الفاحشة أو النميمة.

في الكثير من المواقف الاجتماعية، كان النبي ﷺ يتحلى بالحياء في التعامل مع قريش، خاصة عندما كانوا يتحدثون عن أصنامهم أو يقومون بفعاليات غير لائقة. كان يتجنب هذه المحادثات برفق، ويُظهر حياءه منهم دون إهانة أو تصادم مباشر.

وكان النبي ﷺ يقضي وقتاً في التأمل والتفكر في غار حراء، بعيداً عن ضجيج الحياة، مما يعكس حياءه من الله ورغبته في البحث عن الحقيقة.

الابتعاد عن المجاهرة بالمعصية:

لم يُعرف عن النبي ﷺ أنه جاهر بأي معصية، بل كان حياؤه يجعله دائماً في دائرة الطهارة والإيمان الفطري.

خامساً: الحياء كدافع للقيادة النبوية

إن الحياء الذي تحلى به النبي ﷺ قبل النبوة كان عاملاً مهماً في جعله محط أنظار قومه. لقد وثقوا به وأطلقوا عليه لقب "الصادق الأمين"، مما ساعده في مهمته لاحقاً.

الحياء في مشيته وتفاعلاته:

كان النبي ﷺ يحرص على أن يظهر في مظهر لائق ومهذب طوال حياته، سواء في مشيته أو في كيفية تعامله مع الآخرين. كان يمشي بثبات، وتظهر عليه علامات الاحترام والحياء في كل تصرف.

كان النبي يمشي بحياء في الأسواق والأماكن العامة، يحترم نفسه ويمشي بحذر دون أن يلفت الأنظار أو يظهر أي نوع من الغرور أو الكبرياء.

و لم يكن النبي ﷺ يرفع صوته في الأسواق ولا يبالغ في تصرفاته مع الخدم والعبيد، بل كان يظهر الحياء والتواضع معهم ويعاملهم بلطف و رفق. كان يحترم الجميع دون التفريق بينهم، وكان يُظهر حياءه عند التعامل مع الطبقات المختلفة في المجتمع المكي.

حياؤه في المواقف الاجتماعية العامة

كان النبي ﷺ يظهر حياءً كبيرًا في تعامله مع كبار قريش وأعيانهم. على الرغم من احترامه لهم، إلا أنه كان يتحاشى الدخول في نقاشات عقيمة أو تقديم نفسه بشكل يتسم بالغرور.

عندما كان النبي ﷺ يتحدث مع زعماء قريش، كان يراعي حدود الأدب والحياء في الحوار معهم، لا يتجاوز حدود الاحترام، وكان يتجنب أي شيء قد يؤدي إلى تضارب في الآراء أو أي نوع من التصادم الفكري غير الهادف.

حياؤه في التفرد بالعادات والتقاليد

كان النبي ﷺ يبتعد عن أي موضوع أو حديث مبتذل أو غير مناسب. وكان دائمًا ما يُظهر الحياء في تعامله مع أي نوع من الحديث الذي يتسم بالسوء أو الفحش.

كان معروفًا في مكة بأنه أكثر الناس حياءً، وكان أي حديث غير لائق يُبعد نفسه عنه أو يتجنب المشاركة فيه.

الحياء كان سمة بارزة في حياة النبي ﷺ قبل البعثة، حيث كان يعكس شخصيته الطاهرة والنقية. لقد تجسد الحياء في كل تعاملاته، سواء في بيته مع أسرته، أو مع المجتمع بشكل عام، أو في علاقته بالله. هذه الصفة، التي هي جزء لا يتجزأ من شخصيته، ساعدته على بناء علاقات محترمة وقوية مع الجميع، مما جعله موضع إعجاب وتقدير من جميع من حوله.

البيئة الاجتماعية والدينية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

الأوضاع الدينية

كانت الجزيرة العربية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تعيش في ظلمات الشرك وعبادة الأصنام. كان لكل قبيلة صنم تُقدسه وتلجأ إليه في طلب الرزق والنصر، مثل "هبل" و"اللات" و"العزى". وقد تجاوز عدد الأصنام في الكعبة وحدها 360 صنمًا[1].

إلى جانب ذلك، بقي بعض الحنفاء على دين إبراهيم عليه السلام، مثل زيد بن عمرو بن نفيل، الذي كان يرفض عبادة الأصنام ويدعو إلى عبادة الله الواحد. وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينتمي إلى هذا النمط من النقاء الفطري، فلم يسجد لصنم قط، ولم يشارك قومه في طقوسهم الوثنية.

الأوضاع الاجتماعية

كان المجتمع الجاهلي يتميز بالتفاوت الطبقي الشديد. كانت القبائل العربية تقدّم مصالح القبيلة على كل شيء، وتعتمد العصبية القبلية كركيزة أساسية للنظام الاجتماعي.

وضع المرأة:

كانت المرأة تعاني من الظلم والاضطهاد في المجتمع الجاهلي، حيث كان وأد البنات شائعًا، واعتبرت النساء من ممتلكات الرجال. لكن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى قبل البعثة، كان يعامل النساء باحترام ويُقدّر مكانتهن.

وضع العبيد:

كان العبيد يُعاملون بقسوة ويُعتبرون ممتلكات مادية لا حقوق لهم. ومنذ صغره، كان النبي صلى الله عليه وسلم يظهر تعاطفًا مع المستضعفين والعبيد، ولم يُعرف عنه أنه ظلم أحدًا أو استعبد إنسانًا.

القيم الإيجابية في المجتمع الجاهلي

رغم الفساد المنتشر في المجتمع الجاهلي، كانت هناك قيم إيجابية مثل الشجاعة، والكرم، وإغاثة الملهوف، وهي قيم أشاد بها الإسلام لاحقًا وعزّزها .القيم الإنسانية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

الصدق والأمانة

الصدق والأمانة كانتا من أبرز الصفات التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم، حتى اشتهر بين قومه بلقب "الصادق الأمين."

الصدق في القول والعمل:

لم يُعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم كذب قط، سواء في صغره أو شبابه. عندما بدأ النبي دعوته، لم يستطع أعداؤه تكذيبه، بل كانوا يعترفون بصدقه رغم عدائهم له.

الأمانة في المعاملات:

عندما عمل النبي صلى الله عليه وسلم في التجارة لصالح السيدة خديجة رضي الله عنها، أظهر أمانة نادرة وشفافية كاملة، مما جعلها تثق به وتختاره شريكًا في حياتها.[2] كما أن أهل مكة كانوا يودعون أموالهم وأماناتهم عنده، حتى بعد أن جهر بدعوته.

العدل والإنصاف

كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالًا للعدل والإنصاف حتى في المواقف الصعبة.

حل النزاعات:

في حادثة الحجر الأسود، عندما اختلفت قبائل قريش حول من يضع الحجر الأسود في مكانه أثناء بناء الكعبة، اختاروا النبي صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم. وقد اقترح أن يُحمل الحجر على قطعة قماش، وأن تشترك القبائل في حمله، ثم وضعه بيده الشريفة في مكانه، مما أنهى النزاع بحكمة وعدل[3].

حلف الفضول:

شارك النبي صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول، وهو اتفاق بين القبائل لنصرة المظلوم ورد الحقوق لأصحابها. وقال عنه لاحقًا: "لو دُعيت به في الإسلام لأجبت"[4].

الرحمة والرفق

اشتهر النبي صلى الله عليه وسلم برحمته ورفقه في التعامل مع الناس والحيوانات.

الرحمة بالضعفاء:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُظهر تعاطفًا كبيرًا مع الفقراء والمساكين، وكان يُسارع إلى مساعدتهم وتخفيف معاناتهم.

الرفق بالحيوانات:

خلال عمله في رعي الأغنام، كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم برعاية الحيوانات، ولم يكن يُحمّلها فوق طاقتها أو يُسيء معاملتها[5].

الإيثار والتضحية

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُقدّم مصلحة الآخرين على مصلحته الشخصية.

إغاثة الملهوف:

لم يتوانَ النبي صلى الله عليه وسلم عن مساعدة المحتاجين والمظلومين، وكان يُسارع إلى حل مشكلات الناس بكل إخلاص.

العفة والطهارة

كان النبي صلى الله عليه وسلم نقيًا في سلوكه وأفعاله.

اجتناب الرذائل:

رغم انتشار المعاصي في المجتمع الجاهلي مثل شرب الخمر والميسر، كان النبي صلى الله عليه وسلم بعيدًا تمامًا عنها، ولم يُعرف عنه أي سلوك مشين[6].

اجتناب عبادة الأصنام:

لم يشارك النبي صلى الله عليه وسلم قومه في عبادة الأصنام أو تقديم القرابين لها، رغم أنها كانت سائدة في مكة.
أثر القيم الإنسانية في إعداد النبي صلى الله عليه وسلم لتحمل الرسالة
القيم الإنسانية التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت إعدادًا إلهيًا لتحمله أعباء الرسالة.

بناء ثقة المجتمع به:

بفضل صدقه وأمانته، كان أهل مكة يثقون في النبي صلى الله عليه وسلم، مما سهّل عليه دعوة الناس إلى الإسلام.

تأهيله للقيادة:

القيم التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم جعلته قائدًا قادرًا على توجيه الناس نحو الخير.

الخاتمة

القيم الإنسانية التي جسدها النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة هي نموذج أخلاقي خالد يُحتذى به. هذه القيم لم تكن مجرد صفات شخصية، بل كانت أساسًا لبناء مجتمع عادل ومتوازن فيما بعد.

.....

الهوامش

[1] - ابن هشام، السيرة النبوية، 80/1

[2] - الغزالي، فقه السيرة، ص: 34

[3] - ابن هشام، السيرة النبوية، 200/1

[4] - البخاري، حديث رقم 3643

[5] - الغزالي، فقه السيرة، ص: 28

[6] - القاضي عياض، الشفا، 40/1

المصادر والمراجع

1 .ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة: مكتبة محمد علي صبيح.

2 .محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الشروق، الطبعة السابعة.

3 .القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت.

4 .خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، دار الفكر العربي.

5 .صحيح البخاري، كتاب الشهادات، حديث رقم 3643.

6 .محمود شلبي، حياة محمد قبل البعثة، دار الجيل، بيروت.

7 .عماد زكي، القيم الأخلاقية في السيرة النبوية، مكتبة الأنجلو المصرية.

8 .عبد الرحمن السحيباني، الأخلاق النبوية قبل البعثة وبعدها، دار الحضارة للنشر.

9. عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، مكتبة الكليات الأزهرية.